أسماء الله الحسنى

(المانع - الضار - النافع - النور - الهادي -
البديع - الباقي - الوارث - الرشيد - الصبور)

كتبه
سلامة محمد سلامة

رسوم
عبد المرضى عبيد

شركة سفير

محمد ، سلامة

أسماء الله الحسنى / سلامة محمد

١٢ ص، ٢٣ × ٢٣ سم

١- أسماء الله الحسنى / الكتاب الثامن

٢- الأطفال - ثقافة

أ- محمد ، سلامة ب- العنوان

ديوى/ ٢١٠

جميع الحقوق محفوظة لشركة **سفير**

رقم الإيداع : ١٩٣٣١ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولى : 3 - 300 - 361 - 977 **:ISBN**

المَانِعُ

هُوَ الذى يَمْنَعُ عَنْ عِبَادِهِ كُلَّ مَا يُؤْذِيهِم فِى دِينِهِم ودُنْيَاهُمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَبْدَانِهِم مِنَ البَلاءِ، فَهُوَ – عَزَّ وَجَلَّ – مَانِعٌ لِعِبَادِهِ المؤمِنِينَ يُدَافِعُ عَنْهُمْ، وَيَحْمِيهِم وَيَحْفَظُهُم مِنْ أَعْدَائِهِم فَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِم أَوْ يَنَالَ مِنْهُم.

وَهُوَ – سُبْحَانَهُ – الذى يَمْنَعُ العَطَاءَ عَمَّنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِكَى يَخْتَبِرَ إِيمَانَهُمْ، أَوْ لِكَى يَحْمِيهِم مِنْ مَكْرُوهٍ سَوْفَ يَحْدُثُ لَهُمْ بِسَبَبِ هَذَا العَطَاءِ، أَوْ لِحِكْمَةٍ مَا لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ، وَكَمَا أَنَّهُ المَانِعُ فَهُوَ – سُبْحَانَهُ – المُعْطِى الذى يُعْطِى نِعَمَهُ مَنْ يُرِيدُ، وَذَلِكَ فَضْلٌ مِنْهُ – تَعَالَى – يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَلِكَىْ نَتَأَدَّبَ مَعَ اللَّهِ المَانِعِ يَنْبَغِى أَلا نَسْأَلَ غَيْرَهُ فِى جَمِيعِ حَوَائِجِنَا لأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ المُعْطِى المَانِعُ، وَلا نَعْقِدُ الأَمَلَ إِلا عَلَيْهِ – سُبْحَانَهُ – وَلا نَرْجُو أَبَدًا أَحَدًا غَيْرَهُ.

الفَارِسُ وَالرَّكْبُ المُبَارَكُ

بَعْدَ أَنْ نَجَّى اللَّهُ نَبِيَّهُ «مُحَمَّدًا» ﷺ، وَصَاحِبَهُ «أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ» – رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ– مِنْ أَيْدِى كُفَّارِ «قُرَيْشٍ» فَلَمْ يَرَوْهُمَا وَهُمَا مُخْتَبِئَانِ دَاخِلَ الغَارِ، جُنَّ جُنُونُ قُرَيْشٍ، وَرَصَدَتْ مِائَةَ نَاقَةٍ لِمَنْ يَأْتِى بِالنَّبِىِّ ﷺ وَصَاحِبِهِ حَيَّيْنِ أَوْ مَيِّتَيْنِ، وَكَانَ «سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ» مِمَّن يَطْمَعُونَ فِى الحُصُولِ عَلَى هَذِهِ الجَائِزَةِ الكَبِيرَةِ، وَعِنْدَمَا عَلِمَ بِمَكَانِ النَّبِىِّ ﷺ انْطَلَقَ بِفَرَسِهِ خَلْفَهُ، وَمَا كَادَ «سُرَاقَةُ» يَلْحَقُ بِرَكْبِ النَّبِىِّ حَتَّى غَاصَتْ قَدَمَا فَرَسِهِ فِى الرِّمَالِ، وَسَقَطَ مِنْ فَوْقِهِ، فَقَامَ بِسُرْعَةٍ وَعَاوَدَ الرُّكُوبَ عَلَى فَرَسِهِ لِيَلْحَقَ بِالنَّبِىِّ فَغَاصَتْ قَدَمَا فَرَسِهِ فِى الرِّمَالِ ثَانِيَةً، فَخَافَ «سُرَاقَةُ» وَارْتَعَدَ بِشِدَّةٍ، وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَحْفَظُ نَبِيَّهُ وَيَمْنَعُهُ، فَأَخَذَ يُنَادِى عَلَى النَّبِىِّ ﷺ لِيَطْلُبَ مِنْهُ الأَمَانَ، فَأَمَّنَهُ النَّبِىُّ ﷺ، فَطَلَبَ «سُرَاقَةُ» مِنَ النَّبِىِّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ عَهْدًا بِذَلِكَ، فَأَمَرَ النَّبِىُّ دَلِيلَهُ «عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ»، فَكَتَبَهُ لَهُ، ثُمَّ انْطَلَقَ الرَّكْبُ المُبَارَكُ فِى أَمَانِ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ.

الضَّارُّ: هُوَ الذى يُقَدِّرُ الضُّرَّ لِمَنْ أَرَادَ مِنْ عِبَادِهِ، وَكَيْفَمَا أَرَادَ - سُبْحَانَهُ.

النَّافِعُ: هُوَ الذى يَصْدُرُ مِنْهُ الخَيْرَ وَالنَّفْعَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - خَالِقُ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا نَافِعها وَضَارِّهَا، خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَلا نَافِعَ وَلا ضَارَّ إلا اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - قَدْ يُغْنِى إِنْسَانًا وَيُفْقِرُ آخر، وَيُعْطِى الصِّحَّةَ لإِنْسَانٍ وَيُصِيبُ آخَرَ بِالمَرَضِ، وَيَهْدِى إِنْسَانًا إِلَى الإِيْمَانِ وَالهِدَايَةِ إِذَا أَرَادَ الهِدَايَةَ، وَيُضِلُّ آخرَ إِذَا أَصَرَّ عَلَى الكُفْرِ وَالضَّلالِ، وَلا يَحْدُثُ شىءٌ فِى مُلْكِ اللَّهِ إلا بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ - سُبْحَانَهُ - وَلِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ، فَقَدْ يَبْتَلِى إِنْسَانًا بِمُصِيبَةٍ لِكَى يُكَفِّرَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، أَوْ يَرْفَعَ دَرَجَاتِهِ فِى الآخِرَةِ، أَوْ يَحْمِلَهُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ عَاصِيًا. وَعَلَى العَبْدِ مَتَى عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الضَّارُّ النَّافِعُ، أَنْ لا يَرْجُوَ أَحَدًا سِوَاهُ، وَلا يَخْشَى إلا إِيَّاهُ، وَأَنْ يَكُونَ اعْتِمَادُهُ كُلُّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُفَوِّضَ جَمِيعَ أَمْرِهِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ نَافِعًا لِعِبَادِ اللَّهِ بِعِلْمِهِ وَمَالِهِ وَعَمَلِهِ، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا يُصِيبُهُ، فَسَوْفَ يَعِيشُ فِى سَعَادَةٍ وَرَاحَةٍ عَظِيمَةٍ.

أَصْحَابُ الجَنَّةِ

فِى قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ صَالِحٌ يَمْلِكُ حَدِيقَةً جَمِيلَةً، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَعْطِفُ عَلَى الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ، وَيُعْطِيهِم حَقَّهُم مِنْ ثِمَارِ حَدِيقَتِهِ، وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَمَاتَ الرَّجُلُ، وَوَرِثَ أَبْنَاؤُهُ حَدِيقَتَهُ، وَلَمَّا حَانَ مَوْعِدُ جَنْى الثِّمَارِ قَالَ أَحَدُ الأَبْنَاءِ لإِخْوَتِهِ: لِمَاذَا نُعْطِى هَؤُلاءِ الفُقَرَاءَ مِنْ ثِمَارِ حَدِيقَتِنَا، وَقَالَ الآخرُ: صَدَقْتَ، فَنَحْنُ نَتْعَبُ طَوَالَ العَامِ، ثُمَّ يَأْتِى هَؤُلاءِ بِبَسَاطَةٍ، وَيَأْخُذُوا ثِمَارَنَا دُونَ تَعَبٍ، وَاتَّفَقُوا جَمِيعًا عَلَى أن يَجمَعُوا الثِّمَارَ فِى الصَّبَاحِ البَاكِرِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ الفُقَرَاءُ، وَعِنْدَ الفَجْرِ ذَهَبَ الأَبْنَاءُ إِلَى الحَدِيقَةِ فِى الخَفَاءِ، وَهُمْ سُعَدَاءُ بِخُطَّتِهِم الرَّائِعَةِ، لَكِنَّهُمْ عِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَيْهَا وَجَدُوها قَدِ احْتَرَقَتْ تَمَامًا، وَأَصْبَحَتْ سَوْدَاءَ كَاللَّيْلِ.

فَقَالُوا فِى دَهْشَـةٍ: لَقَـدْ أَخْطَـأْنَا طَرِيقَنَا فَهَذِهِ لَيْسَتْ حَدِيقَتَنَا؟!! أَيْنَ الأَشْجَارُ والثِّمَارُ الجَمِيلَة؟!!

فَقَالَ أَحَدُهُمْ : لا بَلْ هِىَ حَدِيقَتُنَا، وَقَد انْتَقَمَ اللَّهُ مِنَّا، وَأَحْرَقَهَا لأَنَّنَا أَرَدْنَا أَنْ نَمْنَعَ حَقَّ الفُقَرَاءِ، وَقَدْ حَذَّرْتُكُمْ مِنْ أَخْذِ حَقِّ حَقِّهم، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّه، وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم يُلْقِى بِاللَّومِ عَلَى الآخَرِ، ثُمَّ قَالُوا جَمِيعًا فِى حُزْنٍ وَنَدمٍ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ وَتُبْ عَلَيْنَا، وَعَوِّضْنَا خَيْرًا مِنْ حَدِيقَتِنَا ولَنْ نَمْنَعَ حَقَّ الفُقَرَاءِ أَبَدًا.

هُوَ صَاحِبُ النُّورِ وَخَالِقُهُ، الذى نوَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِمَا خَلَقَ فِيهِنَّ مِنْ نُجُومٍ وَأَقْمَارٍ مُضِيئَةٍ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مُنِيرٌ فِى ذَاتِهِ، مُظْهِرٌ لِكُلِّ خَفِىٍّ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ﴾

(النور: من ٣٥)

وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - الهَادِى الذى يُرْشِدُ بِهِدَايَتِهِ القُلُوبَ إِلَى نُورِ الإِيمَانِ بِهِ، وَيُنَوِّرُ قُلُوبَ المُؤْمِنِينَ بِتَوْحِيدِهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ ﴾

(الحديد: من٩)

وَمَتَى أَقْبَلَ العَبْدُ عَلَى اللَّهِ وَأَطَاعَهُ فِى كُلِّ أَوَامِرِهِ، فَسَوْفَ يُكْسِبُهُ اللَّهُ نُورًا فِى قَلْبِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، وَجَمِيعِ أَعْضَائِهِ فَإِذَا مَشَى لا يَمْشِى إلا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِذَا أَعْطَى لا يُعْطِى إلا بِالعَدْلِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ لا يَتَكَلَّمُ إلا بِالحَقِّ وَالخَيْرِ.

الشَّمْسُ وَالحَيَاةُ

تَرْتَبِطُ الحَيَاةُ عَلَى الأَرْضِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِالشَّمْسِ ذَلِكَ السِّرَاجُ الوَهَّاجُ المُضِىءُ، فَهِى أَقْرَبُ النُّجُومِ إِلَيْنَا إذ تَبْلُغُ مُتَوَسِّطُ المَسَافَةِ بَيْنَهَا وَبَينَ الأَرْضِ نَحْوَ (١٤٩,٦) مليون كم، وَيَصِلُ إِلَيْنَا ضَوْؤُهَا فِى حَوَالَى (٨,٣) دَقَائِق، وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ جَعَلَ الشَّمْسَ نجمًا وَسَطًا يَتَمَيَّزُ بِالاتِّزَانِ وَالثَّبَاتِ الإِشْعَاعِى؛ فَلَوْ زَادَ الإِشْعَاعُ الشَّمْسِىُّ عَنْ حَدٍّ مُعَيَّنٍ لاحْتَرَقَتْ الحَيَاةُ عَلَى الأَرْضِ، وَلَوْ قَلَّ عَنِ الحَدِّ المَعْقُول لَتَجَمَّدَت الحَيَاةُ عَلَيْهَا، وَلا تَسْتَقْبِلُ الأَرْضُ إلا نَحْوَ جُزْءٍ مِنْ (٥٠٠) مِلْيُونِ جُزْءٍ مِنَ الإِشْعَاعِ الكُلِّىِّ للشَّمْسِ، وَيُقَدَّرُ مَا تَسْتَقْبِلُهُ الأَرْضُ مِنَ الطَّاقَةِ الشَّمْسِيَّةِ فِى العَامِ الوَاحِدِ بِمَا يَزِيدُ عَلَى نَحْوِ (٣٠) أَلف مَرَّةٍ عَلَى إِجْمَالِى مَا تُنْتِجُهُ مَصَادِرُ الطَّاقَةِ المُتَاحَةِ حَالِيًا فِى العَالَمِ، وَلايَغِيبُ عَنَّا مَدَى أَهَمِيَّةِ ضَوْءِ الشَّمْسِ للإِنْسَانِ وَالحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، بَلْ لا يَغِيب عَنَّا أَهمِيَّةُ طَاقَتِها الحَرَارِيَّة فِى تَحْرِيكِ الهَوَاءِ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ، وَتَبْخِيرِ مِيَاهِ البِحَارِ وَالمُحِيطَاتِ لِتَكَوُّنِ السُّحُبِ .. وَغَيْرِ ذَلِكَ كثير.

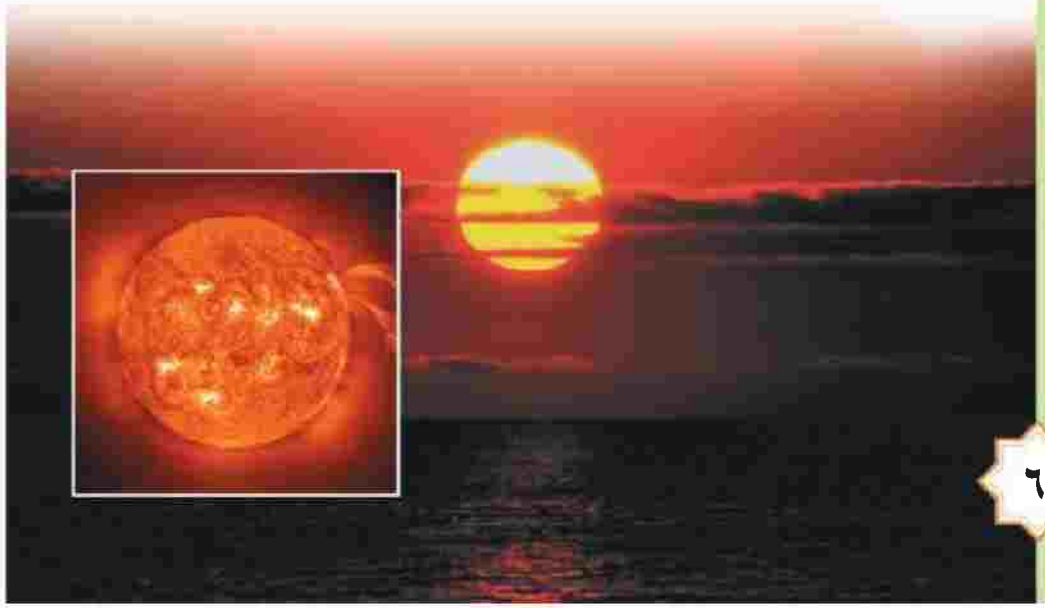

بَصمَاتٌ وَبَصمَاتٌ

أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَتَفَكَّرَ فِي هَذَا الكَوْنِ الفَسِيحِ وَمَا فِيهِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ حَتَّى نَتَعَرَّفَ عَلَيْهِ وَنَهْتَدِي إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَفِي خَلْقِ الإِنْسَانِ آياتٌ وَمُعْجِزَاتٌ تَشْهَدُ بِوُجُودِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ... فَإِذَا نَظَرْنَا إِلَىَّ بَصَمَاتِ جَمِيعِ البَشَرِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ نَجِدْ أَنَّهَا لا يُمْكِنُ أَنْ تَتَطَابَقَ أَبَدًا بَيْنَ شَخْصَيْنِ حَتَّى وَلَوْ كَانَا تَوْأَمَيْنِ مُتَطَابِقَيْنِ، لَيْسَ ذَلِكَ فَحَسَبْ بَلْ وُجِدَ أَنَّ هَذِهِ البَصَمَاتِ لا تَتَطَابَقُ بَيْنَ أَصَابِعِ اليَدِ الوَاحِدَةِ، وَقَدْ أَظْهَرَتِ الدِّرَاسَاتُ أَنَّ هَذِهِ البَصَمَاتِ تَظَلُّ ثَابِتَةً لا تَتَغَيَّرُ مِنَ الوِلادَةِ حَتَّى الوَفَاةِ، لَكِنَّهَا تَزْدَادُ فِي الحَجْمِ فَقَطْ.

وَأَنَّهُ لا يُوجَدُ اثْنَانِ لَدَيْهِمَا نَفْسُ الشَّفْرَةِ الوِرَاثِيَّةِ، وَالَّتِي تُسَمَّى «الدنا»(DNA) أَوِ «الحَامِضَ النَّوَوِي»، وَأَنَّ احْتِمَالَ تَشَابُهِ شَفْرَتَيْنِ وِرَاثِيَّتَيْنِ بَيْنَ شَخْصٍ وَآخَرَ هِيَ وَاحِدٌ فِي التِّرْلِيُونِ مِمَّا يَجْعَلُ التَّشَابُهَ مُسْتَحِيلا !!

وَأَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ رَائِحَةً مُمَيَّزَةً لَهُ يَنْفَرِدُ بِهَا وَحْدَهُ دُونَ سَائِرِ البَشَرِ أَجْمَعِينَ!!

وَأَنَّ عَدَمَ التَّشَابُهِ بَيْنَ شَخْصٍ وَآخَرَ مَوْجُودٌ فِي أَجْزَاءٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ كَالعَيْنِ وَالفَكِّ وَنَبْرَةِ الصَّوْتِ!! وَغَيْرِهَا وَلَنْ نَمْلِكَ أَمَامَ كُلِّ ذَلِكَ إِلا أَنْ نَقُولَ سُبْحَانَ الخَالِقِ العَظِيمِ !!

الهادي

هُوَ الذِي يَهْدِي قُلُوبَ عِبَادِهِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَيُرْشِدُ نُفُوسَهُم إِلَى طَاعَتِهِ، وَذَلِكَ بِمَا خَلَقَ لَهُمْ - سُبْحَانَهُ - مِنْ كَوْنٍ فَسِيحٍ مَلِئٍ بِالآيَاتِ التِي تَهْدِي إِلَيْهِ، وَتَدُلُّ عَلَى وُجُودِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَبِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِم مِنْ كُتُبٍ، وَأَرْسَلَ مِنْ رُسُلٍ يَهْدُونَ إِلَى سَبِيلِهِ وَإِلَى صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ، وَبِمَا خَلَقَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِم مِنْ فِطْرَةٍ سَلِيمَةٍ لا تَسْتَرِيحُ إِلا إِذَا عَرَفَتْ رَبَّهَا، وَآمَنَتْ بِخَالِقِهَا، وَهُوَ - تَعَالَى - الذِي يَهْدِي المُؤْمِنِينَ إِلَى الخُلُقِ الحَسَنِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيَهْدِي المُذْنِبِينَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، وَيَهْدِي سَائِرَ الخَلْقِ مِنَ الحَيَوَانَاتِ إِلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا، وَالبُعْدِ عَمَّا يَضُرُّهَا، قَالَ تَعَالَى:

﴿ الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

(طه : من ٥٠)

وَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَطْلُبَ دَائِمًا الهِدَايَةَ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا لِهِدَايَةِ كُلِّ مَنْ حَوْلَهُ مِنَ النَّاسِ، وَأَنْ يَعْمَلَ عَلَى إِرْشَادِ الخَلْقِ إِلَى طَرِيقِ الهِدَايَةِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ.

هُوَ الذى أَبْدَعَ الكَوْنَ كُلَّهُ، وَخَلَقَ الخَلْقَ كُلَّهُم بِمُفْرَدِهِ - سُبْحَانه - عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، وَمِنْ دُونِ أَنْ يُعَلِّمَهُ أَحَدٌ، أَوْ يُشَارِكَهُ أَحَدٌ، أَوْ يُقَلِّدَ أَحَدًا فِى صُنْعِهِ وَإِبْداعِهِ، وَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - الذى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ، وَلا يُشْبِهُهُ شَىْءٌ لا فِى ذَاتِهِ وَلا فِى صِفَاتِهِ أَو أَفْعَالِهِ، قَالَ تَعَالَى :

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

(البقرة: ١١٧)

وَمِنْ آداب مَنْ عَرَفَ اسْمَ اللَّه البَدِيعِ أَنْ يَتَفَكَّرَ دَائِمًا فِى بَدَائِعِ صُنْعِ اللَّه، وَأَنْ يَجْتَنِبَ كُلَّ بِدْعَةٍ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِى كِتَابِ اللَّه وَسُنَّةِ رَسُولِهِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ.

نُجُومٌ .. وَمجرَّاتٌ

يُمْكِنُكَ فِى اللَّيَالِى الصَّافِية إِذَا نَظَرْتَ إِلَى السَّمَاءِ أَنْ تَرَى وَمَضَاتٍ مِنَ الضَّوْءِ الخَافِت التى تَنْبَعِثُ مِنْ آلاف النُّجُوم التى تَلْمَعُ فِى أَعْمَاقِ الأُفُقِ البَعِيد، وَهِىَ تَبْدُو لَنَا صَغِيرَةً لأَنَّهَا تُوجَدُ عَلَى مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ جِدًا، فَأَقْرَبُ النُّجُومِ إِلَيْنَا بَعْدَ الشَّمْسِ يَبْعُدُ عَنِ الأَرْضِ نَحْوَ (٤,٢) سَنَةً ضَوْئِيةً، فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ السَّنَةَ الضَّوْئِية هِىَ المَسَافَةُ التى يَقْطَعُهَا الضَّوْءُ فِى سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، وَتُسَاوِى (٩,٤٦) مِلْيُون مِلْيون كِيلُو مِتْر وَجَدْنَا أَنَّ أَقْرَبَ نَجْمٍ إِلَيْنَا بَعْدَ الشَّمْسِ يَبْعُدُ عَنَّا بِنَحْوِ (٤٠) مِلْيُون مِلْيُون كِيلو مِتْر، وَقَدْ يُصَابُ البَعْضُ بِالدَّهْشَةِ إِذَا مَا عَلِمَ أَنَّ بَعْضَ النُّجُومِ تَبْعُدُ عَنَّا آلافَ المَلايين مِنَ السِّنِين الضَّوْئِية، أَى إِنَّنَا نَسْتَقْبِلُ الضَّوْءَ الذى كَانَتْ تُشِعُّهُ هَذِهِ النُّجُومُ مُنْذُ مِئَاتٍ أَو آلاف المَلايين مِنَ السِّنِين وَلَقَد اكْتَشَفَ العُلَمَاءُ حَتَّى الآنَ مَا يَزِيدُ عَلَى (أَلْف مِلْيُون) مجرَّة فِى الكَوْنِ بَعْضُهَا يَقَعُ عَلَى أَبْعَادٍ تَصِلُ إِلَى (٥) آلاف مِلْيُون سَنَةٍ ضَوْئِية، وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ مجرَّتَنَا المَعْرُوفَةَ بِالطَّرِيقِ اللَّبَنِية بِهَا مَا لا يَقِلُّ عَنْ (١٠٠٠٠٠) مِلْيُون نَجْمٍ، فَكَمْ يَكُونُ عَدَدُ النُّجومِ فِى بَقِيَّةِ المجرَّاتِ الأُخْرَى ؟!! فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ كُلَّ هَذَا الكَوْنِ العَظِيم، وَجَعَلَهُ يَسِيرُ وِفْقَ نِظَامٍ بَدِيعٍ مُتَنَاسِقٍ دُونَ أَنْ يُعَاوِنَهُ أَحَدٌ!!!

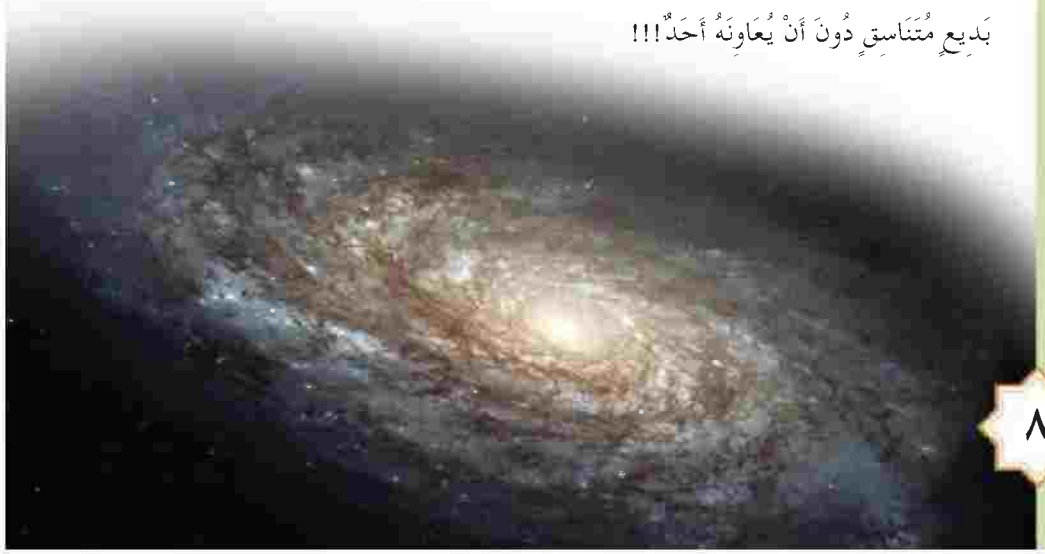

البَاقِى

هُوَ الحَىُّ الذى لا يَمُوتُ أَبَدًا، الدَّائِمُ بَعْدَ كُلِّ شَىْءٍ، البَاقِى بَعْدَ فَنَاءِ جَمِيعِ خَلْقِهِ بَقَاءً أَبَدِيًا بِلا انْتِهَاءٍ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هُوَ الأَوَّلُ فَلا بِدَايَةَ لَهُ، وَهُوَ الآخِرُ أَى البَاقِى فَلا نِهَايَةَ لَهُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الرحمن: ٢٦:٢٧)

وَمَتَى اسْتَشْعَرَ العَبْدُ عَظَمَةَ البَاقِى فِى قَلْبِهِ سَيَجِدُ نَفْسَهُ مُتَعَلِّقًا بِطَاعَتِهِ، مُبْتَعِدًا عَنْ مَعْصِيَتِهِ، زَاهِدًا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ مُقْبِلا عَلَى الآخِرَةِ البَاقِيَةِ، لا يَلْجَأُ إلا إِلَيْهِ، وَلا يَخْشَى أَحَدًا سِوَاهُ - سُبْحَانَهُ سُلْطَانُهُ بَاقٍ لا يَزُولُ أَبَدًا.

لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ

فِى آخِرِ الزَّمَانِ يَأْمُرُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - المَلَكَ «إِسْرَافِيلَ» أَنْ يَنْفُخَ فِى الصُّورِ (وَهُوَ بُوقٌ عَظِيمُ الحَجْمِ) فَتَخْرُجُ صَيْحَةٌ عَالِيَةٌ رَهِيبَةٌ يَمُوتُ بَعْدَهَا كلُّ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلا يَبْقَى إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَهُمْ : «جِبْرِيلُ»، و«مِيكَائِيلُ»، و«إِسْرَافِيلُ»، وَ«مَلَكُ المَوْتِ» - عَلَيْهِم السَّلامُ - فَيَقْبِضُ اللَّهُ أَرْوَاحَهُم، عِنْدَهَا تُصْبِحُ السَّمَاوَاتُ خَالِيَةً مِنَ المَلائِكَةِ، وَالأَرْضُ خَالِيَةً مِنَ الخَلْقِ فَلا إِنْسَ وَلا جِنَّ وَلا وَحْشَ وَلا طَيْرَ، وَلَمْ يَبْقَ إلا اللَّهُ - تَعَالَى - ثُمَّ يُنَادِى - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ فَلا يُجِيبُهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يُجِيبُ نَفْسَهُ - سُبْحَانَهُ - وَيَقُولُ :﴿ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ ، وَصَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ إِذْ يَقُولُ:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾

(الرحمن: ٢٦-٢٧)

الوَصِيَّةُ

كَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَمْلِكُ بُسْتَانًا كَبِيرًا، وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ يَقُومُ عَلَى رِعَايَةِ وَلَدَيْهِ وَابْنَ أَخِيهِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبَوَيْهِ، وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَالسُّنُونَ وَمَاتَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، لَكِنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ كَتَبَ وَصِيَّةً يُوصِي فِيهَا بِجُزْءٍ مِنْ بُسْتَانِهِ لابْنِ أَخِيهِ اليَتِيمِ، فَلَما عَلِمَ وَلَدَيْهِ بِتِلْكَ الوَصِيَّةِ غَضِبَا بِشِدَّةٍ، وَقَالَ كَبِيرُهُمَا فِي ضِيقٍ: كَيْفَ يُشَارِكُنَا ابنُ عَمِّنَا فِي مَالِ أَبِينَا؟! إِنَّهُ مِيرَاثُنَا وَحْدَنَا، وَلَيْسَ لأَحَدٍ حَقٌّ فِيهِ سِوَانَا، وَاتَّفَقَ الأَخَوَانِ عَلَى تَمْزِيقِ الوَصِيَّةِ، وَتَهْدِيدِ الشُّهُودِ عَلَيْهَا بِالقَتْلِ إِذَا حَدَّثُوا أَحَدًا بِهَا، وَنَفَّذَا ما أَرَادَا، وَأَصْبَحَ البُسْتَانُ لَهُمَا وَحْدَهُمَا، لكنَّهما لَمْ يَهْنَآ بِهِ كَثِيرًا فَقَدْ أُصِيبَا بِمَرَضٍ غَرِيبٍ أَقْعَدَهُمَا عَنِ الحَرَكَةِ، وَأَصْبَحَا فِي حَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَقُومُ عَلَى رِعَايَتِهِمَا وَإِدَارَةِ شُئُونِهِمَا، فَبَادَرَا ابْنُ عَمِّهِمَا إِلَيْهِمَا وَظَلَّ يَرْعَاهُمَا وَيُحَافِظُ عَلَى مَالِهِمَا سَنَوَاتٍ عَدِيدَةً، لكنَّ المَرَضَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمَا فَمَاتَا مَعًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا زَوْجَةٌ وَلا وَلَدٌ، وَأَصْبَحَ البُسْتَانُ وَجَمِيعُ الأَمْوَالِ مِلْكًا لابْنِ عَمِّهِمَا وَلأَبْنَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

الوارث

هُوَ البَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ جَمِيعِ خَلْقِهِ، الذِي يَرِثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَمَا عَلَيْهَا بَعْدَ فَنَاءِ أَهْلِهَا، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(آل عمران من: ١٨٠)

فَكُلُّ مَخْلُوقٍ عَلَى هَذِهِ الأَرْضِ حَتْمًا سَيَمُوتُ، وَكُلُّ مَنْ يَمُوتُ يَرِثُهُ مَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِهِ، وَحَتْمًا سَيَمُوتُ هَؤُلاءِ وَيَرِثُهُم مَنْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ لا يَبْقَ إِلا ذُو العِزَّةِ وَالجَبَرُوتِ الحَيُّ البَاقِي الذِي لا يَمُوتُ، الذِي يَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الوَارِثِينَ، فَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُهُ فِيمَا مَعَهُ مِنْ مَالٍ، وَأَنَّ المَالَ حَتْمًا سَوْفَ يَصِيرُ إِلَى غَيْرِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا عَلَيْهِ، وَأَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ جَيِّدًا عَلَى هَذَا المَالِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَلَيْهِ أَيْضًا أَنْ يَحْرِصَ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ لأَنَّهُ مِيرَاثُ الأَنْبِيَاءِ، فَهُمْ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهَمًا وَلا دِينَارًا وَلَكِنْ وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ.

هُوَ الحَكِيمُ فِى أَقْوَالِهِ وَأَفعَالِهِ، الذِى يُرْشِدُ جَمِيعَ خَلْقِهِ إِلَى مَصَالِحِهِم، وَيُرْشِدُ عِبَادَهُ وَيَهْدِيهِم إِلَى مَا فِيهِ صَلاحُهُم وَخَيْرُهُمْ فِى الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَهُوَ المُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ مِنْ غَيْرِ اسْتِشَارَةٍ مِنْ أَحَدٍ أَوْ مَعُونَةٍ مِنْ أَحَدٍ، الهَادِى قُلُوبَ عِبَادِهِ إِلَى اخْتِيَارِ طَرِيقِ طَاعَتِهِ وَهِدَايَتِهِ، وَالبُعْدَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ حَتَّى يَدْخُلُوا الجَنَّةَ.

وَعَلَى العَبْدِ لِكَىْ يَتَخَلَّقَ بِأَخْلاقِ الرَّشِيدِ - جَلَّ وَعَلا - أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا فِى أَفْعَالِهِ صَادِقًا فِى أَقْوَالِهِ حَتَّى يَقْتَدِىَ بِهِ النَّاسُ، وَأَنْ يَعْمَلَ عَلَى إِرْشَادِ الخَلْقِ إِلَى طَرِيقِ الخَيْرِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ حَتَّى يَجْعَلَهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّاشِدِين.

طَرِيقُ النَّجَاةِ

خَرَجَ العَالِمُ الزَّاهِدُ «أَبو اليَزِيدِ البَسْطَامِىُّ» فِى بِدَايَةِ حَيَاتِهِ لِطَلَبِ العِلْمِ مُسَافِرًا مَعَ قَافِلَةٍ فِى طَرِيقِهِ إِلَى «بَغْدَادَ»، فَأَوْصَتْهُ أُمُّهُ بِأَنْ يَلْتَزِمَ الصِّدْقَ وَأَلا يَكْذِبَ أَبَدًا، ثُمَّ أَعْطَتْهُ أَرْبَعِين دِينَارًا لِيُنْفِقَ مِنْهَا فِى رِحْلَتِهِ، وَفِى الطَّرِيقِ هَجَمَ عَلَى القَافِلَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ اللُّصُوصِ، وَأَخَذُوا يُفَتِّشُونَ أَفْرَادَ القَافِلَةِ فَرْدًا فَرْدًا، وَيَسْتَوْلُونَ عَلَى مَا مَعَهُم مِنْ مَالٍ، فَلَمَّا جَاءَ الدَّوْرُ عَلَى «أَبِى اليَزِيدِ» سَأَلَهُ أَحَدُ اللُّصُوصِ فِى غِلْظَةٍ : هَلْ مَعَكَ مَا تُخْفِيهِ مِنْ مَالٍ؟

فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، مَعِى أَرْبَعُون دِينَارًا هِىَ كُلُّ مَا أَمْلِكُ.

فَتَعَجَّبَ زَعِيمُ اللُّصُوصِ، وَقَالَ لَهُ فِى دَهْشَةٍ: كَيْفَ تُخْبِرُنَا هَكَذَا بِبَسَاطَةٍ بِمَا مَعَكَ مِنْ مَالٍ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنَا لُصُوصٌ؟!

فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ عَاهَدْتُ أُمِّى عَلَى قَوْلِ الصِّدْقِ، وَأَخَافُ أَنْ أَخُونَ العَهْدَ!!

فَقَالَ زَعِيمُ اللُّصُوصِ لِرِجَالِهِ فِى حُزْنٍ : إِنَّ هَذَا الصَّبِىَّ يَخَافُ أَنْ يَنْقُضَ عَهْدَهُ مَعَ أُمِّهِ، وَنَحْنُ لا نَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ!! وَاللَّهِ لَنْ أَعُودَ إِلَى السَّرِقَةِ بَعْدَ اليَوْمِ.

فَقَالَ جَمِيعُ اللُّصُوصِ : لَقَدْ كُنْتَ زَعِيمَنَا فِى السَّرِقَةِ وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَنْ نَتْرُكَكَ بَعْدَ أَنْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى طَرِيقِ الخَيْرِ، فَأَنْتَ الآنَ زَعِيمُنَا وَقُدْوَتُنَا فِى التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ.

هُوَ الذى لا يُعَجِّلُ عُقُوبَةَ العُصَاةِ وَالمُذْنِبِينَ، وَلَكِنَّهُ - تَعَالَى - يُؤَخِّرُهَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًى لَعَلَّهُم يَتُوبُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَتُوبَ عَلَيْهِم، ذَلِكَ لأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَمَغْفِرَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ وَعِقَابَهُ، وَمَا دَامَ العَبْدُ يَحْرِصُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ فَسَوْفَ يَجِدُ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبَةً مِنْهُ لأَنَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا خَلَقَ الخَلْقَ لِيُعَذِّبَهُم.

وَعَلَى العَبْدِ أَنْ يَتَحَلَّى بِالصَّبْرِ فِى جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى تَحَمُّلِ المَشَاقِّ فِى سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَصْبِرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنِ المَعَاصِى، وَلا يَنْدَفِعُ فِى عُقُوبَةِ النَّاسِ عَلَى أَخْطَائِهِم، بَلْ يَصْبِرُ عَلَيْهِم، وَيُيَسِّرُ لَهُمْ سُبُلَ المَعْذِرَةِ وَالتَّوْبَةِ تَشَبُّهًا بِالصَّبُورِ - جَلَّ وَعَلا.

التَّائِبُ إِلَى اللَّهِ

لَمَا عَادَ النَّبِىُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ أَمَرَهُ اللَّهُ بِالمَسِيرِ بِجَيْشِ المُسْلِمِينَ إِلَى يَهُودِ «بَنِى قُرَيْظَةَ» الذِينَ نَقَضُوا العَهْدَ وَتَعَاوَنُوا مَعَ جَيْشِ المُشْرِكِينَ، فَذَهَبَ إِلَيْهِم النَّبِىُّ ﷺ، وَحَاصَرَهُم، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ ﷺ: أَنْ أَرْسِلْ إِلَيْنَا: «أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ المُنْذِرِ» نَسْتَشِيرُهُ فِى أَمْرِنَا، وَكَانَ رَجُلا مُسْلِمًا حَلِيفًا لليهود، فَأَرْسَلَهُ النَّبِىُّ ﷺ إِلَيْهِم، فَقَالُوا لَهُ: «يَا أَبَا لُبَابَةَ أَتَرَى أَنْ نَنْزِلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، يَعْنِى بِذَلِكَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ سَوْفَ يَذْبَحُهُم، عِنْدَهَا شَعَرَ «أَبُو لُبَابَةَ» أَنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَنَدِمَ نَدَمًا عَظِيمًا، وَخَشِىَ أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ عِقَابَهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لا أَنْظُرُ فِى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَىَّ، فَرَبَطَ نَفْسَهُ فِى عَمُودٍ مِنْ أَعْمِدَةِ المَسْجِدِ النَّبَوِىِّ، وَقَالَ: لا أَبْرَحُ مَكَانِى حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَىَّ، فَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ قَالَ: «لَوْ جَاءَنِى لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ، وَإِذْ قَدْ فَعَلَ هَذَا فَلَنْ أُطْلِقَهُ حَتَّى يَقْضِىَ اللَّهُ فِيهِ مَا يَشَاءُ».

وَظَلَّ «أَبُو لُبَابَةَ» مَرْبُوطًا سِتَّ لَيَالٍ لا يَحُلُّ نَفْسَهُ إِلا لِلصَّلاةِ، حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. فَذَهَبَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيُطْلِقُوا سَرَاحَهُ فَأَبَى، وَقَالَ لا يَحُلُّنِى إِلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَا خَرَجَ الرَّسُولُ إِلَى صَلاةِ الفَجْرِ حَلَّ رِبَاطَهُ، وَلَمْ يَكْتَفِ «أَبُو لُبَابَةَ» بِمَا صَنَعَ، بَلْ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَمَامِ تَوْبَتِى أَنْ أَتَصَدَّقَ بِمَالِى كُلِّهِ.

فَقَالَ لَهُ النَّبِىُّ ﷺ: يَجْزِيكَ أَن تَتَصَدَّقَ بِثُلُثِ مَالِكَ.